تغيير هُوية المنطقة في مشروع التوسع الفرنسي في الجزائر، الحقائق والمغالطات

Changing the identity of the region in the French expansion project in Algeria Facts and Fallacies

حمدي عمر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة.

amar.hamdi69@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/04/13 تاريخ القبول: 2024/04/28

ملخص: منذ بداية فكرة مشروع التوسع الفرنسي في شمال إفريقيا، حيث كانت البداية بالجزائر، لم يترك الفرنسيون شيئًا للصدف، ففي البداية اختلقوا حججا للغزو، تحت ذريعة الدفاع عن النفس، وبعد الغزو اختلقوا تبريرات التوسع والبقاء، لعلمهم أن وضعهم في الجزائر غير مبرر لا أخلاقيا ولا قانونيا فقاموا باستدعاء كل العلوم لخدمة الايديولوجيا الاستعمارية، لإنجاز نظريات ومفاهيم هي في الحقيقة عبارة عن مغالطات، وضعت لتبرر وتسوغ دوام حالة الاستعمار، يتم تمريرها تحت حجة البحث العلمي، حتى تُقبل على أنها حتميات ومسلمات من أجل فرض الأمر الواقع، ولإضفاء شرعية على الوجود الفرنسي في الجزائر، وموازاة مع ذلك فإن الإيديولوجيا الاستعمارية ترجمت على الأرض كممارسات تنتهج سياسة الابادة والإقصاء طالت كل الفضاءات كما استهدفت تغيير هُوية المنطقة.

الكلمات المفتاحية: التوسع الفرنسي، الجزائر ، هُوية .

Summary :
From the beginning of the idea of the French expansion project in North Africa, where the beginning was in Algeria, the French left nothing to chance, at first they invented arguments for invasion, under the pretext of self-defense, and after the invasion process they invented justifications for expansion and survival, knowing that their status in Algeria is morally and legally unjustified, so they employed all the sciences to serve colonial thought, to accomplish theories and concepts that are in fact fallacies, developed to justify and justify the permanence of the state of colonialism, It is passed under the pretext of scientific research, until it is accepted as imperatives and axioms in order to impose a fait accompli, in order to legitimize the French presence in Algeria, and in parallel, colonial ideology on the ground has been translated as practices that follow a policy of extermination and exclusion.
Keywords : French expansion , Algeria ,identity.

عمرحمدي

amar.hamdi69@gmail.com

مقدمة

من خلال تعريف بسيط للاستعمار فإنه ممارسة الهيمنة، من طرف دولة بالقوة او بالتحايل على دولة أخرى أو شعب ما، فمنذ بداية العصر الحديث استفادت أوربا من عدة عوامل، وعلى رأسها النهضة الشاملة ثم الكشوف الجغرافية ثم الثورة الصناعية، إضافة لدخول العالم الإسلامي حالة من الضعف، بفضل هذه العوامل مجتمعة، اندفعت دول أوربية في سباق نحو التوسع والنهب لمقدرات الشعوب في القارات الثلاث وتم التلاعب بمصائر شعوب كثيرة وقعت تحت لظروف ما في قبضة الاستعمار الحديث الذي تعددت مسمياته للسيطرة من حماية إلى انتداب، والذي رافقه رفع الأوربيين لشعارات التمويه ومنها حمل رسالة تمدين للشعوب المتخلفة، وإدماجها في الحضارة الإنسانية لكن الهدف الأول كان النهب ثم النهب، ثم في المرتبة الثانية هناك اعتبارات أخرى مثل نشر الثقافة الأوربية والتبشير، والاستعمار الفرنسي كجزء من الظاهرة الاستعمارية، لم يجد عنتا ولا مشقة في التلاعب بمصائر شعوب كثيرة وقعت تحت نيره مدة من الزمن، ولأن ميزان القوى كان آنذاك في صالحهم، لم تكن هناك قوة ذات أهمية لتعرقلهم، وإن تأخر وطن لم يقع بين أيديهم فبسبب اختلافهم على طريقة اقتسامه، ليتم اقتسام العالم وفق سياسة التراضي والتعويض بين الأقوياء،

كان ساسة فرنسا يدركون أن وضعهم في الجزائر الناتج عن عملية الغزو قانونيا آيل للزوال، وبما أن وجودهم أصبح أمرا واقعا، فقد أولى الفرنسيون أهمية بالغة لمسألة البحث لكيفية إضفاء شرعية على العملية الاستعمارية في الجزائر، لذلك قام الفرنسيون باصطناع مبررات الغزو أولا لتغطية مسألة تعديهم على دولة ذات سيادة، ثم بعد نزولهم بالجزائر وعقدوا النية على التمسك بما في أيديهم، اختلقوا مبررات ومسوغات للبقاء، ولتثبيت ذلك اتجهوا للعمل عبر عدة مسارات:

-مسار لتغيير الواقع على الأرض وصبغ الجغرافيا بهُوية جديدة تنسجم مع الفضاء اللاتيني لجنوب أوربا مثل جلب مجموعات كبيرة من الأوربيين وتوطينهم بعد نزع الأراضي من السكان الأصليين، لتبدأ عملية تغيير شاملة للوضع القائم في الجزائر، أسفر عن نتائج وخيمة على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للشعب الجزائري والذي لامس كل الفضاءات الحيوية للشعب المسلم، وأصبح الجزائريون في بلادهم على هامش الحياة لا يصلحون إلا لتأدية الأعمال الشاقة، ووقودا للحرب، وموردا هاما للضرائب، يعيشون حالة المنبوذين في الهند، مع تكييف طريقة الاستعباد بتغيير المسميات، ففي ظل قوانين ظالمة لا فرق فيها بين للرقيق وبين من صودرت حريته بالقوانين، وكان الاتجاه العام للسياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر يسير وفق مسارات متزامنة لتحقيق أهداف المشروع الاستعماري نلخصها فيما يلي:

-مسار هُوياتي متصل بالثقافة يبدأ بمحاربة الثقافة العربية الإسلامية، و يسعى لتذويب أجيال في الثقافة الفرنسية، وتغيير الذهنيات، وتغيير المعالم المكانية عبر تسمية المدن والشوارع بأسماء فرنسية .

-مسار الحرب النفسية عبر توظيف العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث شكلت المسألة العرقية محورا هاما ومدخلا أساسيا، لزرع بذور الفتنة والشك والشقاق، في إطار فرق تسد، كما حاولوا ترسيخ فكرة سلبية الانسان المغاربي وعجزه عن تكوين كيان سياسي وعدم أهلية سكان المغرب العربي لحكم أنفسهم بأنفسهم إثبات أن البديل هو دوام حالة الاستعمار

أولا: تغيير هُوية المنطقة في مشروع التوسع الفرنسي في الجزائر وتبريرات التوسع والبقاء،

الهُويَّة كلمة مشتقة من الضمير هُو، وهو: ضمير منفصل للغائب المفرد والمذكر[1]، وتعرف الهُوية على أنها مجموعة من السمات تسمح لنا

بتعريف موضوع معين[2]، وهي عبارة عن مجموعة صفات متكاملة ومتفاعلة فيما بينها، لتعطي لشخص أو شعب معين مميزات يعرف بينها[3]، والهُوية المشتركة لا تعني إزالة الانتماءات الفرعية، بقدر ما تعني ضمان عدم التضارب بين الهُوية الفردية والهُوية المشتركة، وتحقيق الاندماج الاجتماعي، فأفراد المجتمع هُويتهم القومية هي التي تمنحهم مشاعر الأمن والاستقرار والطمأنينة والشعور بالثقة[4]، والهوية لا ترتبط بالسلالة بل بالوعي الخالص عكس ما تروج له النظريات العنصرية [5].

1- مغالطات استعمارية حول تاريخ الجزائر الحديث

دأب الفرنسيون على نفي وجود دولة ونظام في الجزائر، كجزء من الأطروحة القائلة بهيمنة الفوضى والانتظام في الجزائر، والتجأوا في ذلك بتوظيف العلوم الإنسانية والاجتماعية خاصة التنقيب وتفسير التاريخ بما يتلاءم وأهداف الاستعمار، ومنها إطلاق أحكام تنتقص من الانسان والتاريخ المغاربي، وتصوير الأمور على أنها كانت فوضى قبل دخول الفرنسيين فقد وها هو أحد كُتابهم يتكلم عن الجزائر فيقول «..أما المغرب الأوسط أي المنطقة التي نسميها اليوم الجزائر، فقد كان بدون حكومة يمكنها أن تزعم أنها تتكلم باسم المنطقة، فقد كان مستنقع سياسي، من مدن صغيرة وقرى مستقلة، ومن قبائل بدوية، إن هذا المغرب الأوسط الذي اشتدت عليه أطماع إسبانيا، تحكم فيها جماعة من البحارة العثمانيين..»[6]،إلا أن ادعاءات الفرنسيين حول عدم وجود دولة جزائرية، توقعهم في مواقف متناقضة، ففي أي خانة نضع تاريخ طويل من العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر وفرنسا، علما أن فرنسا فقط وقعت مع الجزائر 58 اتفاقا ومعاهدة فيما بين 1619-1830، وتولى رعاية مصالح فرنسا خلالها بالجزائر60 قنصلا ونائب قنصل، وتردد على الجزائر 96 محافظا ومبعوثا[7].

ومن البديهي أن الاتفاق والمعاهدة ووجود القنصل، في الأعراف الدولية لا يكون إلا مع دولة مكتملة الأركان[8]، وهوما يحيلنا للتصريحات الأخيرة للرئيس الفرنسي ماكرون E . Macron خريف2021، حول عدم وجود دولة وأمة جزائريتين قبل الاستعمار الفرنسي، وقد تم الرد عليه بسرعة، حتى من الفرنسيين، ومنهم المؤرخ الفرنسي بنجامين ستورا، الذي أوضح أن الجزائر كانت أمة ودولة ذات سيادة قبل الاستعمار الفرنسي، مناقضا بذلك كلام الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، وأضاف ستورا: «حين يتحدث البعض عن عدم وجود دولة وأمة جزائريتين قبل الاستعمار الفرنسي، أتساءل إذن من ضرب القنصل الفرنسي عام 1827 وماذا كان يفعل هناك حتى ضُرب»؟*.

وللتذكير فأهل مدينة الجزائر، قد بايعوا خير الدين بربروس عن رضى واختيار بداية من سنة 1509، والجزائر أصبحت رسميا في حمى الدولة العثمانية سنة 1518 أعلن خير الدين نفسه سلطانا على الجزائر سنة1533[9]، فإن قال قائل أن خير الدين بربروس كان تركيًّا، ونتج عن ذلك احتلال تركي، إذٍ ماذا نقول عن أسرة آل البوربون التي كانت تحكم فرنسا وهم من أصل جرماني (ألمان)، هل نسميه احتلال ألماني لفرنسا، بل ماذا نقول عن نابليون نفسه، الزعيم التاريخي لفرنسا، والذي كان كورسيكيا من أصل إيطالي، وماذا عن برنادوت Bernadotte ملك السويد، الذي كان فرنسي الأصل[10]، هل هو احتلال فرنسي للسويد، علما أنه « في نهاية القرن الحادي عشر لم تكن فرنسا طبيعيا أو كاحتمال بلدا واحدا، فالعائلة المالكة هي التي خلقت فرنسا في القرن الثاني عشر والثالث عشر ولم تكن هناك أي حتمية طبيعية في خلقها، ولا أي قدر قومي لذلك قبل ظهور الملكية الفرنسية»[11]، إن أحسن مثال الآن يشبه حالة الجزائر مع الدولة العثمانية، هي حالة ارتباط كندا واستراليا في الوقت الحاضر بالتاج البريطاني، مع احتفاظهما بالحرية المطلقة، في السياسة الداخلية والخارجية لكلتا الدولتين، وكما يقول فرحات عباس« كفانا برهانا

لتأييد نظريتنا، ذلك النزاع الذي قام بين الجزائر والمغرب، حين عبر الأمير عبد القادر الحدود بينه وبين المغرب سنة 1844 من البديهي أن لا تخرق حدود لا وجود لها.. » [12].

بالنسبة للعلاقات الفرنسية الجزائرية فرغم تاريخ حافل بالعلاقات الدبلوماسية وتبادل المنافع بل ومنح الجزائر فرنسا امتيازا، ووقفت إلى جانبها في الشدائد، وهوماعترفت به جريدة لومونيتور Le moniteurالصادرة في شهر جوان 1793، ما يلي : « بينما تتحالف أوربا ضد فرنسا الحرة، اعترفت قوة إفريقية أكثر صدقا ووفاء بالجمهورية، وأظهرت لها صداقة »[13]، ورغم العلاقة الخاصة بين البلدين إلا أن أطماع الفرنسيين بدأت منذ وطئت أقدامهم القالة في إطار الامتياز الممنوح لهم لصيد المرجان، وما أمر تسليحهم لحصن القالة، كلما ضعفت حكومة الجزائر، إلا دليلا على نيتهم المبيتة ضد الجزائر، لقد بدأت فرنسا التفكير فعليا لغزو الجزائر، قبيل الثورة الفرنسية، فسفيرها بالجزائر السيد "كارسي" أعد مشروعين كخطط للغزو، في سنة 1782" وسنة 1792، و تكررت العملية مع أغلب سفراء وقناصلة فرنسا في الجزائر، فبلغت 20مخطط، أشهرها مخطط الضابط بوتان سنة 1808 في عهد نابليون[14]، الذي كان ينوي إنشاء جبل طارق فرنسي في الجزائر[15]، ومن هنا نستنتج أن قصة حادثة المروحة الشهيرة انما هي مسرحية حيكت بعناية ،وهي طريقة عادة ما يلجا لها كل من أراد التوسع والاعتداء حيث تفتعل مشكلة لتبرر الحرب. (لكي لا تتجمل فرنسا مسؤولية اعتداء على دولة ذات سيادة)

2- مغالطات حول طبيعة الوجود الفرنسي في الجزائر

حاولت فرنسا أن لا ينظر إلى وجودها في الجزائر على أنه احتلال، لأن ذلك يعني أن البلد المحتل كان يتمتع بسيادة واستقرار وتنظيم سياسي مستقل، فيترتب عنه قانونا أنه اعتداء على دولة ذات سيادة، وكذلك ليس من مصلحتها أن يكون تحت عنوان الحماية أو المستعمرة، فيعني كذلك أنه وضع

وقتي من المفروض زواله في يوم ما، لذا قد دأبت فرنسا على أن تحاول إقناع نفسها والآخرين، أنها اكتسبت الجزائر اكتسابا شرعيا بالتقادم، وهي طريقة تَملُّك يقرها القانون الدولي، إذا توفرت شروط معينة، منها أن يتم التملك على مرأى ومسمع من الدول الأخرى، ومصادقة الأهالي ولو بصفة ضمنية، لذلك ادّعت فرنسا أن الجزائر، من الأراضي التي يجوز تَمَلُكُها، شأنها شأن بقية المناطق الخالية من السكان، التي لا تخضع لسيادة منتظمة، أو المسكونة من طرف مجموعات متوحشة، أو غير منتظمة سياسيا، ومما جاء في ملف فرنسا المقدم للأمم المتحدة سنة 1956للدفاع عن وجودها في الجزائر «...فحتى لو فرضنا خطأ أنه احتلال، فيجب الاعتراف أن كان في مصلحة الأمم المتحضرة» [16].

في محطات كثيرة وأمام مرأى ومسمع العالم، رفض الجزائريون الوضع القائم بسبب الاحتلال، ومن تلك المواقف موقف مصالي الحاج في فعاليات المؤتمر الإسلامي عام 1936 في الجزائر، ففي رسالته لوفد المؤتمر، الذي ذهب لباريس لتقديم مطالب الجزائريين والتي تضمنت مطلب إلحاق الجزائر بفرنسا، هنا قبل مصالي كل المطالب للمؤتمر عدا مطلب إلحاق الجزائر بفرنسا، والذي رفضه بشده، وفي هذا يقول مصالي « ..ولكننا نقول بصراحة، وبشكل لا يقبل التراجع، أننا لا نقر الميثاق المطلبي، فيما يتعلق بإلحاق بلادنا بفرنسا»[17]،

لم يكن مصالي في معارضته للإلحاق منطلق من فراغ، بل كان يستند إلى الحقائق الحضارية والتاريخية، وكان يعتمد كذلك على سند قانوني، فليس ثمة أي نص، يمكن أن يؤسس عليه حقوقيا الحاق الجزائر بفرنسا، ذلك أن سيادة شعب الجزائر ، لا يمكن اعتبارها من الوجهة الحقوقية لاغية، بفعل غزو عام1830، واستحالة ضم فرنسا للجزائر قانونيا، وهذا ما يتضح من خلال الحجج التالية:

1- اتفاق الهدنة بين دبورمون والداي حسين كان مقصورا على تسليم الجزائر العاصمة حصونها وقصبتها فقط دون سواها.
2- لم تتم إجراءات نقل السلطة الى الدولة الفرنسية، وهو نقل يستوجب قانونيا، إمضاء الباب العالي، ذلك إن احتلال بلد بالقوة لا يمحو شخصية الدولة المنهزمة حسب قوانين الدول.
3- معاهدة التافنه 30 ماي 1937 اعترفت بسلطة الأمير على سائر الجزائر،باستثناء منطقة قسنطينة التي ظلت تحت سلطة (أحمد باي)الذي عيّنه داي الجزائر، ولم يبقى للفرنسيين إلا رقعة ضيقة خاصة متيجة والعاصمة [18].
4- إن الحاق الجزائر كان عملا مستحيلا من الناحية الحقوقية، مالم يوافق عليه سكانها.
5- أن الاحتلال كوسيلة لاكتساب الأرض، قد اعتبر دائما غير شرعي، في القانون الدولي متى كانت هذه الأرض مأهولة وذات حكومة.
6- أن عيب هذا الاحتلال لا يمكن أن يزول بالتقادم، وأن حقوق الدولة الجزائرية لن يسري عليها التقادم.

وحتى من ناحية الوقائع فإن فرنسا لم تستطع تطبيق الادماج الشامل، فاعترفت بالمؤسسات والقوانين الأهلية، وكان ثمة ما يمكن تسميته بالمقاومة السلبية، خصوصا برفض الجزائريين قبول الجنسية الفرنسية رغم الامتيازات[19] .

3- الفرنسيون والبحث عن شرعية أخلاقية لوجودهم

بعد أن استطاع الفرنسيون وضع اليد على الجغرافيا، وأمام وضع قانوني وأخلاقي في غير صالحهم، اتجه الفرنسيون للبحث عن مبررات في البداية لعملية الغزو، ثم بعد الغزو بحثوا عن مسوغات البقاء، لذلك دأبوا على تسخير كل ما يمكن تسخيره، لإضفاء شرعية على وجودهم في الجزائر،

وقاموا بتسويق مفاهيم مدروسة، لترسيخها في الوعي العام وبنيت على طابع تأويلي سياسي، وقدمت هذه المزاعم لتقبل على أنها حتميات ومسلمات علمية، ومدار الكلام هو الوصول إلى عدم أهلية سكان الجزائر والمغرب العربي، لحكم أنفسهم بأنفسهم، فمثلا تم تصوير القبيلة المغربية، على أنها وحدة منافية للدولة، ولديها نزعة نحو الانقسام قوية، لكن المعلوم من الواقع أن القبيلة تسير عكس الفوضى فهي تسير وفق تراتبية، وكانت القبيلة دوما على مر العصور، أرضية لنمو دول وامبراطوريات مثل امبراطوريات آسيا العثمانية والمغولية [20].

وحتى الانسان المغربي لم يسلم، فيشيرون لسلبية الانسان المغاربي، بسبب تلك التدافعات الطبيعية وصوروها بأنها صراع أبدي منذ القدم بين زناتة البدو وصنهاجة الحضر مرورا بقدوم الهلالين التي صوروها في أبشع صورة[21]، وهذه الاتهامات جاءت في إطار البحث عن أي مسوغ ومبرر أخلاقي أو تاريخي، يعطي شرعية للفعل الاستعماري، ليخفف عن فرنسا الحضارة وطأة الذنب، الذي اقترفوه جراء الدمار في العمران والمجتمع الذي أحدثوه في شمال إفريقيا[22].

4- الايديولوجيا الاستعمارية الأوربية المداخل والتأويلات

معركة المفاهيم: في إطار هذه المعركة وبعلم واحترافية تم التلاعب بالمصطلحات والمفاهيم خاصة أن المفاهيم أشبه بوعاء معرفي جامع[23]، إذ ليس لها معاني مطلقة ثابتة، فهي تتجاوز البناء اللفظي ،فمثلا مفهوم الهُوية، يتجدد معناه في سياقات متعددة، وفقا للوظائف التي تؤديها في مجال معين[24]،

ومن هنا تأتي أهمية التلاعب بالمصطلحات والمفاهيم، أو تلك التحايلات في المفاهيم والاصطلاحات التي تحمل مسحة علمية، وفي حقيقة الأمر ما هي إلا تمويها للاستعمار والسيطرة أنتجتها أنثربولوجيا الإيديولوجيا الاستعمارية[25]، والتي ظفت من أجل السيطرة على المجتمعات والتي تبدأ بالطعن في المعتقدات،

وبضرب التماسك الاجتماعي، باعتبار أن التفكك الاجتماعي يسهل السيطرة الأجنبية، ويشير مصطلح التفكك الاجتماعي الى التصدع الذي يطرأ على العلاقات الاجتماعية أو البناء الاجتماعي أو وحدات النسق الاجتماعية والتفكك الاجتماعي لا يكون كاملا ولكنه نسبي، وقد يشير المصطلح أيضا إلى انهيار الضوابط الاجتماعية أو إلى الانحراف عن المعايير والقيم السائدة في المجتمع والمقررة لسلوك أفراده [26].

من جهة أخرى يرى «جاك برك» : « أن هدف علم اجتماع الاستعمار كان السيطرة على الدوام، وكل المقولات التي تم التشدق بها حول أثر احتكاك الثقافات لم تكن أكثر من زينة زائفة والهدف في الدرجة الأولى تبرير الفساد الذي يحدثه »[27]، وفي نفس السياق يقول «أنتوني جيندز » من علماء الاجتماع: « لعل من سخريات الحديث أن الدراسة العلمية المنتظمة لتنوع الثقافات الانسانية - أي الدراسة الانثروبولوجية الميدانية– قد ظهرت في نفس الوقت الذي بدأ فيه التوسع الشره لنظام الرأسمالي، وللقوة العسكرية الغربية يفعل فعله في تدمير تلك الثقافات »[28].

الأوروبيون والتطرف في تمجيد فكرة العرق: الظاهرة التاريخية تقوم على ثلاث دعائم، هي الزمان، والإنسان، والمكان، وبالتالي فإن التاريخ علم يتصل بالزمن، وبما أن المقصود هو الزمن الإنساني، فإن الفعل التاريخي، فعل إنساني، وقع داخل حدود الزمن الإنساني[29]، إذ الإنسان مثل بقية المخلوقات يخضع لنواميس الطبيعة التي أحكم الله به صناعة الكون، فهو يؤثر ويتأثر، لكنه بميزة العقل حاول التكييف مع السنن الكونية بعد فهمها، وبما أن من سنن الكون التمايز، فإن لكل شعب خاصية ثقافية حاول الاستعمار التنكر لهان وتجاوزها، رغم أن التمايز من طبيعة الأشياء، وهذا ما يشير إليه مفكر ألماني 1664-1716 (كوتفريد لا يبنتز) حين ينفي أن يتشابه شيئان في كل خصائصهما، باعتبار أننا إذا قلنا ذلك، فإنهما شيئا واحدا[30]، ومن هذا المنطلق

فالأشياء إذا كانت هذه طبيعتها، فإن الأمر ينطبق على بني البشر، الذين يمتازون بتنوّع لا حدّ له، لأنّ التباين العرقي بين بني البشر، هو خاصة بيولوجية عند بني الإنسان، فالتطرّف في تمجيد فكرة العرق، أدّى إلى الزج بعدد من التصنيفات العنصرية، ضد أعراق كثيرة، وكانت وظيفة التصنيفات أن تطمس الصفات الأصلية الخاصة لهذه الاعراق[31]. ولم تكن خرافة البدائي التي اطلقت على سكان القارات خارج أوربا، خاصة إفريقيا وامريكا واستراليا، إلا أداة أرادت بها أوربا التخلص من عقدة الذنب لتبرير افعالهم، عبر استعمال الأنثربولوجيا، التي كانت إيديولوجية لهذه الممارسة الاستعمارية، مستهدفة للقضاء على ثقافات ومجتمعات أخرى[32]،

علوم إنسانية موجهة: لقد أنجز الفرنسيون في الجزائر، أعمال هامة من البحوث والأعمال، تميزت بالدقة لكنها انطلقت من خلفية معينة، أسست على فكرة المركزية الأوربية، والتي كثيرا ما حادت عن النزاهة العلمية[33]، فالعقل الغربي قدم جهدا لدراسة المجتمعات والثقافات المغايرة للغرب، ولكن بأدوات معرفية غربية، وهو ما جعل النتائج أحادية الرؤية، وفق أحكام لا تتجاوز حدود ادراك العقل الغربي[34]، ومن جهة أخرى كان للدراسات التاريخية حظا وافرا ضمن الاهتمام بالدراسات الانسانية والاجتماعية الأوروبية الحديثة باعتبار التاريخ لا غنى عنه في مجال معرفة الماضي فهو كما يعرف: « بأنه وعاء الخبرة البشرية العلم الخاص بجهود الانسان التي بذلت عبر الأزمنة السابقة أو هو المحاولة التي تستهدف الإجابة على الاسئلة التي تتعلق بتلك الجهود في الماضي ونستشف منها جهود المستقبل»[35]،

غير أن هذه الدراسات رغم ظاهر طابعها العلمي، إلا أنه في كثير من الأحيان، تكون مضامين هذه الأعمال مضللة للباحث، ومشوهة للحقائق، من خلال الصورة السلبية التي تقدمها عن الإنسان غير الأوربي وتجعلها لصيقة به، ومثالا على ذلك فقد درج كتاب الاستعمار على الادعاء أن الإنسان

الجزائري أو« الأنديجان» حسب تعبير الأنثروبولوجيا الاستعمارية: « لا يعدو أن يكون إنسانا جامدا، كسولا، مستسلما، خاضعا دنيئا...»، وهي نظرة لا تعدو كونها وليدة الأيديولوجيا الاستعمارية، التي كانت في رحلة بحث لتبرير أخلاقي، لما تقوم به من ممارسات غير مقبولة في حق الشعوب المقهورة[36]. ورغم ما في الكتابات التاريخية الأوربية من منفعة تمثلت في جمع المادة التاريخية وحفظها من التلف، غير أن جهودهم قضى عليها تفسيرهم للأحداث، تفسيرا استعماريا بحتا، وتوظيفهم للتاريخ لخدمة مصالح الاستعمار[37]، **وهنا** يقول أنتوني جيندز A. L. Jones وهو من علماء الاجتماع: « وقد قام الكثير من الرحالة والمبشرين والتجار(الأوربيون)وغيرهم بالعديد من الرحلات ولكن التقارير التي قدموها لنا كثيرا ما كانت تتسم بالافتقار إلى الصدق أو تتسم بالقصور وتجسد بكل جلاء نزعة التمركز السلالي (أو التعصب للسلالة) »[38].

المركزية الأوربية : دوما أثبتت أيديولوجيا الممارسة الاستعمارية الفرنسية والأوربية أنها تتداخل فيها الروح العنصرية العرقية والدِّينِية معا وإذا كان هناك من يرد ذلك العنف الاستعماري إلى الشراهة التي عرف بها رواد الاستعمار، إلا أن هناك من يبحث في أبعد من ذلك، ويرد ذلك إلى عقدة التفوق عند الأوربيين، أو ما يعرف بالمركزية الأوربية* التي مزجت بين التعصب للعرق الأبيض والنزعة الصليبية، كمعتقدات مغروسة حتى في الثقافة الأكاديمية ومنها المعتقدات الامبريالية، والمتعلقة بحقائق التاريخ والجغرافيا والعلوم، والتي غالبا ما تقبل لأسباب لا علاقة لها بالأدلة، فالخرافات القديمة مازالت تحظى من خلال نسختها الجديدة، بالإيمان والقبول في أوربا دون أدلة، لتماشيها مع المركزية الأوربية، حتى وإن رفض الأساس المنطقي لها (مثل الادعاءات المبنية على ما جاء في العهد القديم- التوراة -)فأوروبا في نظرهم تتقدم وتتطور وتسير نحو التحديث دائما وأبدا، و غيرها يتقدم ببطء ويتجمد ويبقى مجتمعا تقليديا[39]،

كذلك من خلال نظرة المركزية الأوربية الضيقة :« الأوربيون دينهم الحق فالله يرشدهم للأمام على مر التاريخ، ويعتقدون أن العرق الأوربي يتمتع بتفوق وراثي على الأجناس الأخرى، وأن البيئة الأوربية تفوق غيرها، وأنه منذ الأزل اخترع الأوربيون ثقافة منفردة في تطورها »، غير أن هناك المنصفين من الأوربيين يرون أن كل هذا خطا، فالبيئة الأوربية ليست الأفضل،فليست الأكثر إثمارا، ولا اكثر راحة للبشر، ولا هي مناسبة للاتصالات والتجارة، ولا أوربا ملكت صفات التميز منذ القديم، بل هي صفات فردية كالإبداع والابتكار والطموح[40]، وكما يقول ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة: «...لو تهيأت نفس الظروف لشعب ما، لوجدت نفس النتائج، والدليل نهضة اليابان في القرن 20 مرت بتجربة إنجلترا في القرن 19، وأن المدنية لا تتوقف على جنس دون جنس فليس الجنس العظيم هو الذي يخلق المدنية بل المدنية العظيمة هي التي تخلق الشعب »[41].

5- الاستعماروسياسة التفكيك واستهداف الهُوية

حاول الاستعمار إيجاد مبرره الأخلاقي في الدراسات الأنثروبولوجية التي كانت تصور المجتمعات المغلوبة على أمرها، على أنها متوحشة وغارقة في الجهل، وأنه يجب تهذيبها، وقد قام "الأنثروبولوجيون الأوربيون بدراسة الشعوب المستعمرة، للتعرف على طبائعها وخصائصها، لمعرفة مواطن الضعف في المجتمع ورسم السياسة المناسبة للتعامل معها، أو لتعديل بعض الأوضاع لتصبح ملائمة الواقع الاستعماري، وبالتالي ضمان حالة الاستعمار والسيطرة[42].

شكلت المسألة العرقية محورا هاما ومدخلا أساسيا، لزرع بذور الفتنة والشك والشقاق، بين أبناء الوطن الواحد، من العرب والبربر، ومثال من الكتاب المهتمين بالتاريخ الجزائري، نجد الفرنسي كلود فانتان، وهو مختص في علم السلالات (الانثروبولوجيا)، ودراسة المجتمعات، راح يلتمس المبررات

للوجود الاستعماري، بكون البلاد والمجتمعات المغاربية تاريخها عبارة عن حروب شبه الدائمة، مما مهد لوجود سلطة أجنبية لفرض الأمن، فإذ كان الأمر يقصد به الوجود العثماني، فالعثمانيين لم تكن لديهم القوة للانتشار آنذاك، نظرا لجبهات القتال المتواصلة مع روسيا ايران وأوربا، بل حل العثمانيون بالمغرب العربي، بطلب أهله لرد العدوان الأوربي الاسباني على سواحله [43].

الترابط الموغل بين العرب والأمازيغ وبين المشرق والمغرب العربيين كان محل إزعاج لمنظري الاستعمار، لذلك أولى الاستعمار اهتماما خاصا بمسالة تحطيم الوحدة الثقافية الموجودة في أقطار المغرب العربي، وركزوا على المسألة العرقية، باعتبارها مدخلا أساسيا لزرع الفتنة والشقاق بين أبناء الوطن الواحد عرب-بربر، وكمثال نورد قول المؤرخ الفرنسي جان مونيريه J. Monneret بعد زيادة قوة الحركة الوطنية، خاصة التيار الثوري الاستقلالي فيقول منتقدا فشل السياسة الفرنسة: «...خطأ آخر ارتكبته الإدارة الفرنسية هو عدم معرفتها **كيفية استخدام الاختلافات** العميقة الموجودة بين المتحدثين باللغة العربية والمتحدثين الأمازيغ، لإضعاف تأثير أكثر أشكال الإسلام راديكالية، ولاحقًا، القومية، على العقول الجزائرية[44]. وفي هذا الشأن ينقل الأستاذ علال الفاسي من مداولات مشروع الظهير البربري المنعقدة في أكتوبر 1924 بالمغرب، والتي نقتطف منها ما يتعلق بالتعليم حيث جاء في المداولات:«..من الخطر أن نترك كتلة ملتحمة من المغاربة تتكون، ولغتها واحدة وأنظمتها واحدة، لا بدأن نستعمل...سياسة فرق تسد.»، وفي نفس السياق يقول الكوموندان مارتي في كتابه مغرب الغد « كل تعليم عربي و كل تدخل من الفقيه، وكل ظاهرة إسلامية، يجب منعها بصرامة تامة » وكتب المسيو «جلاي» أحد موظفي الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب: « يجب أن نحذف

تعليم الديانة الإسلامية، واللغة العربية في المغرب، في مدارس البربر وأن تكتب البربرية بحروف لاتينية، يجب أن نعلم البربر كل شيء ما عدا الإسلام»[45]،

لقد تم إعطاء الأولية للحقبة الرومانية البيزنطية في تسليط الضوء، مع تعمد إهمال الفترة الإسلامية، وتم تجاهل المكونات الأساسية عرب–بربر، بل وذهبوا أبعد من ذلك عندما تم رد أصول الجزائريين لأصول إيطالية أيبيرية، مع الادعاء أن جغرافية شمال إفريقيا هي امتداد لجغرافية أوربا لا يفصلهما إلا البحر، كل هذا تزامن مع خطاب للاحتلال الفرنسي الذي ركز على في إطار الحرب النفسية، على التشكيك والطعن في كل ما يشير للهُوية العربية الإسلامية، والمبالغة في إظهار عيوب الشعوب المقهورة، في إطار بحثه عن، مشروعية تبرير حركته التوسعية، وترسيخ فكرة انعدام وجود هُوية أمة بشمال إفريقيا من كل زواياها، من أجل شرعنة الاحتلال الفرنسي للمنطقة، وكمقدمة لإثبات هُوية جديدة للمنطقة.[46].

ثانيا : جوانب من الممارسات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر

1- جانب الحريات والحقوق

إن الظلم الذي مارسه الفرنسيون في الجزائر، يقوم في الجزء الأعظم منه في عدم تحقيق آمال الجزائريين الأكثر جوهرية، وهي أن يعيشوا حياة على أرضهم، مطابقة لهُويتهم، وأنّ التنكر لها وحرمانهم منها، يسبب لهم ضررا وألما اجتماعيا، لا يمكن الاستهانة به وبعواقبه[47]، ورغم أن المسلمين الجزائريين إبان العهد الاستعماري كانوا يقومون بكل الواجبات وأكثر، مقارنة مع اليهود والأوربيين المستوطنين إلا أنهم حُرموا من الحقوق المدنية والسياسية، وكمثال فالمجالس المنتخبة لا يشغل فيها المسلمون إلا خمس مقاعد المجالس حسب القانون الاستعماري العنصري رغم أنهم الأكثرية[48]، ومن جهة أخرى فقد فوقعت فرنسا في التناقض حين مارست التمييز على أساس ديني وعاملت مع

الجزائريين كمسلمين لهم شريعتهم وتقاليدهم، وفي نفس الوقت كانت تتعمد إنكار وجود أمة جزائرية[49]،

بعد دخول الغزو الفرنسي للجزائر فإن سياسة الأرض المحروقة، المتبعة من قبل الألة الاستعمارية لم تكن تفكير واستراتيجية عسكرية ظرفية فحسب، بل هي أبعد من ذلك، إذ شملت وشغلت عقول السياسيين، بل رأى بعضهم أن مسألة الوجود الفرنسي في الجزائر، لن تتم إلا بوسائل يراها ضرورية، وهي الابادة.[50]. وبالتالي فإنهم يرون أهالي الجزائر: «جنس أسفل وخطير، ولا مناص من معاملتهم مثل الهنود الحمر، وليس ذلك جريمة، بل خدمة للإنسانية، بأن نخلصها من أعراق تعرقل الانسانية السامية، التي انطلقت بقوة لتحضر العالم »، فمع بدايات الاحتلال، ظهرت أصوات تنادي بإبادة العرب في الجزائر، كما فعلوا بالهنود الحمر في أمريكا، والأبوريجين في استراليا، ومن هذه الأصوات، نجد الطبيب «أوجين بوديشون»، وهو جمهوري كان يقطن الجزائر، وهو يرى أن اندثار العرب ضروري وإيجابي لتطور البشرية [51].

رغم أن الأوربيين ادعوا أن مهمتهم هي تمدين العالم، ونقل الحضارة إلى الشعوب، إلا أن الواقع عكس ذلك فقد نقلوا الدمار والقتل والبؤس إلى المناطق التي حلو بها، ففي رحلته الاسطورية على متن السفينة بيغل، إلى الكثير من بقاع أمريكا، لاحظ العالم داروين، التلازم بين الاستعمار والقتل والإبادة، فقد ذكر في ملاحظاته« أنه حيثما خطى الأوربيون مشى الموت في ركابهم إلى أهل البلاد»[52]، وهذا ما ينطبق على الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي فمن بداية الاحتلال إلى سنة 1861 تم إبادة مليون جزائري، ليتدنى عدد سكان من حوالي خمسة ملايين، إلى أقل من ثلاثة ملايين، أي إلى 2733000، حسب إحصاءات عدد من علماء التاريخ والديموغرافيا، من بينهم ياكونو Yacono Xavier ولوكا وفاتان Vatin– Lucas، ومنه فإنه إلى غاية سنة 1921 فقد تعرض للإبادة

820.000 جزائري، نتيجة للقتل والتجويع والأوبئة، وكلها من نتائج الاستعمار الفرنسي، منهم161.377 بين قتيل ومفقود في الحرب العالمية الأولى من بين 233.412 جزائري مجند[53].

2- **الاستعمار والجوانب الثقافية**

كانت شعارات الثورة الفرنسية التي كثيرا ما يفخر بها الفرنسيون، تتناقض تماما مع الممارسات التي اليومية للاستعمار الفرنسي في الجزائر، فعندما تتناول واقع التعليم في الجزائر، فإن النتائج كانت كارثية، وكان التعليم الفرنسي انتقائيا موجه فقط للنخبة، فحسب أرقام رسمية لم يتجاوز من تلقوا تعليمهم في المدارس الفرنسية لم يتجاوز 5 بالمائة غلى حدود 1914[54]، وفي أحسن الأحوال التحق أقل من 2٪ من أطفال الأهالي المسلمين الذين تتراوح أعمارهم بين 6 و14عامًا بالمدرسة عام 1889 وما زالوا أقل من 4٪في عام1913 مقارنة بـ 80٪ من الأطفال الأوروبيين في المستعمرة (95٪ في فرنسا القارية)، بسبب عدم وجود الإرادة السياسية والدعم المالي من الإدارة الاستعمارية، كذلك تم تقليص تعليم الأطفال البالغ عددهم 100000 إلى 40.000 في التدريس التقليدي للغة العربية في المدارس القرآنية، والتي كانت في انخفاض منذ بداية الاستعمار[55].

وللدلالة على بطلان فكرة أن فرنسا جاءت لتحضير وتعليم المجتمع الجزائري، نورد أنه عشية الاستقلال سنة 1962، فإن الأمية كانت هي السائدة، مقارنة مع عدد المتعلمين، لذا فقد ثبت العكس، ففرنسا جاءت لتجهيل الجزائريين، فالأمية كانت متدنية قبل الاحتلال، والدليل ما يورده الكتاب الأوربيون أنفسهم، فهذا الرحالة الألماني فيلهم شيمبرا filham chimbra, يدون ملاحظاته بعد أن زار الجزائر سنة 1831 قائلا : « لقد بحثت قاصدا عن عربي واحد في الجزائر، يجهل القراءة والكتابة، غير أنني لم أعثر عليه، في حين أنني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا»[56].

وبعد دخول الاستعمار يذكر رحالة أوربي زار الجزائر سنة 1854: أنه في العاصمة لم يبق من حوالي مائة مدرسة سوى النصف بعد الاستعمار،ويحصي منها المؤرخ أبو القاسم سعد الله ستة وعشرون مدرسة في العاصمة مع تاريخ هدمها من طرف الاحتلال في القرن التاسع عشر، خاصة في المدة التي تلت دخول الفرنسيون، ويذكر أنه لم يبق سنة 1846من مائة مدرسة كانت موجودة سوى أربعة عشر[57]،

أما المساجد ففي العاصمة وحدها كان بها 176 مسجدا، منها 13 مسجد جامع، حسب إحصاء رايموند أندري، والمنشور في كتابه المدن العربية الكبرى لم يبقى منها سنة 1899، سوى خمسة مساجد، وبعد ما تم القضاء على الهياكل الحاضنة للتعليم وهي المساجد، والمؤسسات الداعمة وهي الأوقاف، فتم القضاء على التعليم العربي[58]، أما من استفاد من التعليم وهم قلة فالهدف كان سد حاجيات الادارة الفرنسية من الموظفين.

3- **الاستعمار والجانب الاقتصادي**

ورغم أن الجزائر قبل الاحتلال كانت بلدا مكتفيا ومصدرا للحبوب وينعم بالأمن، إلا أن بعض الكتاب الأوربيون عادة ما يقومون بتزييف الحقائق فهذا مؤرخ الفن هنري تيراس المتخصص في الفن الإسلامي يكتب عن الجزائر سنة1947 : « أن الجزائر كانت بلدًا واقتصادًا ضائعًا" حاول المستعمرون النهوض به » (حسب زعمه) في محاولة منه لتجاوز الواقع[59].

بلغت قيمة المنهوبات العقارية لصالح القطاع العام والخاص الأوربي في الجزائر، أرقاما مهولة، فقد تم مصادرة 2.9 مليون هكتار من أصل 9 ملايين صالحة للزراعة أي ثلث المساحة ، و أكثر من ذلك فإن المصادرات مست أفضل الأراضي الموجودة، ولم يتوقف الظلم عند هذا الحد، إذ تعدى للتعسف في استعمال القانون فإضافة لنزع الملكية للمنفعة العامة، وحجز الرهن على ديون الفلاحين الذين اضطروا إلى وضعها كتعهدً، وهي إجراءات

أدخلت طوعا أو بالقوة في النظام النقدي وهذا كله من الإمعان في الظلم عبر القوانين الاستثنائية، والمكمَلة بالقوانين الردعية الزجرية[60]،

ويذكر جيلالي صاري ومحفوظ قداش أن من نتائج المصادرات نجد أن أربعة بالمائة (4%) من ملاك الأراضي الأوربيين يستحوذون على 38 بالمائة من الأراضي أي اكثر من 2.7 مليون هكتار ، وكان من نتائجه استئثار الأوربيين لوحدهم في الجزائر بالموارد الطبيعية والمالية، والاستغلال الممنهج ليد عاملة محلية وفيرة ورخيصة، واستبعاد العنصر الأهلي من أي فعالية في النشاط السياسي والتسيير العام[61]،

ج- الاستعمار والجانب الاجتماعي

لم يستطع الفرنسيون من التغلب على روح الأنانية التي كانت تقيدهم، إلى غاية رحيلهم من الجزائر، ورغم أن الكثير يرجعون ذلك إلى سطوة المعمرين، إلا أنه لا يمكن إلقاء اللوم على المعمرين فقط، فالتمييز كان سياسة استراتيجية للمحافظة على تفوق العنصر الأوربي في الجزائر[62]، وهنا يقول سارترSartre أن النظام الاستعماري لا يعرف الرحمة، ففرنسا منذ اليوم الأول قد انتزعت من الجزائريين أملاكهم وأبعدتهم عنها، وعاملتهم على أنهم كمٌ مهمل لا يمثلون حتى أنفسهم[63]، كما أن الدولة الفرنسية لم تحاول دمج الجزائريين المسلمين أو استيعابهم في منظومة الدولة بل مارست الإقصاء والتهميش والهُوية المبهمة، إلى حد مزاحمة الأوربيين للجزائريين في جزائريتهم حين صار العنصر الأوربي هو الجزائري والمسلمون مجرد رعايا [64].

إن تقسيم أراضي القبائل الى ملكيات فردية تسهيلا لشرعية شرائها من قبل الأوربيين دمر نظاما اجتماعيا يحفظ مبدأ جماعية الأرض، والذي يصون بدوره التراث العقاري من افراط التجزئة، لقد أدت في النهاية إلى انهيار الاقتصاد الوطني الذي كان يتحمل نمط الحياة ويتكيف معها، لينتقل بالأهالي الى اقتصاد التسلط والجوع[65]، ولم يتوقف الخطر إلى هذا الحد بل تعداه إلى ما

هو أخطر اجتماعيا، فنتج عن هذا في بعض المناطق الحضرية، نشوء تحرر وارتخاء في العلاقات الاجتماعية، لم تملأ بعلاقات أخرى[66]، غير أن منظري الاستعمار غفلوا عن سر تماسك الشعب، وتناسوا أن الدّين كان دوما يمثل القاعدة التي ترتكز عليها ذاكرة الأمة، والحاضر والمستقبل، وهو ضروري لحماية المجتمعات من الاضمحلال والزوال[67].

لقد اعُتبر الجزائريون كفرنسيين غير مواطنين، أخضعوا لقوانين خاصة، تلك الاجراءات المعروفة بقانون الأهالي والمؤسس والمتمم بتاريخ 28 جوان 1881 في عهد وزارة جول فيري، عقب ثورة بوعمامة[68]، وهي قوانين عقابية استثنائية تضمنت 27 مخافة لا يعاقب عليها القانون العادي، ولا تنطبق إلا على الجزائريين، زيدت إلى 33 مخالفة ثم خفضت سنة 1904الى 23 مخالفة منها التلفظ بعبارات غير لائقة بحق فرنسا وترك محل الاقامة بدون رخصة المعروفة بقانون الاهالي أو الانديجان[69]. هنا يتضح لنا جليا، أن حتى الأعمال التي لا تعتبر كجناية، تصبح في حكمها، بمجرد أنها صدرت من عند الأهالي، إذ ليس العمل هو المدان، مهما كانت خطورته، لكن صفة مرتكبه[70] .

ومما جاء على لسان كتاب أوربيين :« لقد حكم على أكثر من خمسة ملايين جزائري مسلم بالقنانة الدائمة لخدمة 500 ألف أوربي في الجزائر هذه الأقلية الصغيرة تتحصل على امتيازات هائلة، وتحكم الدولة وحدها لمصلحتها الخاصة، بينما لا يأخذ في الاعتبار حقوق ومصالح الشعب الجزائري، زيادة على أنه عرضة للتشهير من قبل الأوربيين»[71].

كما تم تقييد وتضييق التنقل والسفر للداخل والخارج من أجل عزل الجزائر عن محيطها الإسلامي تم اعتبار الجزائريين رعايا فرنسيين لتحقيق مشروع الإدماج وفق مرسوم1885 حتى يتم عرقلة اتصال الجزائريين بإخوانهم في المغرب والمشرق[72]، إلا أن نظرية الادماج كانت مسألة وهمية، ذلك أنه لا يمكن للسكان المسلمون الحصول على حق المواطنة، إلا بشرط التخلي عن

أحوالهم الشخصية، وهذا مستحيل، إن رفضهم قبول هذا التنازل يفسر فشل التجنيس الفردي، واستحالة اللجوء إلى التجنس الجماعي[73]، ورغم أن المدرسة هي إحدى عوامل الإدماج، إلا أن نشر التعليم انتشر بطيء جدا فعشية ثورة 1954 لم يتمكن ما يقرب من تسعة أعشار الأطفال المسلمين، من الاستفادة من التعليم [74].

ازدادت الأوضاع سوءا يوما بعد يوم، منذ دخول الفرنسيين للجزائر، وقد عرفت الجزائر موجات من الهجرة إلى الجوار المغاربي وعلى المشرق العربي، في السنوات الأولى للاحتلال، وبعد فشل مقاومة الأمير عبد القادر وما بعدها من المقاومات، وعلى سبيل المثال، كانت سنة 1893سنة أزمة خطيرة بسبب المجاعة، التي أدت إلى هجرة مهمة لسوريا، وقد ورد أنه في عام 1896 سجل رحيل 237 شخص، ثم عرف في بداية عام 1898 وصول 800 شخص إلى بيروت وكذلك في أكتوبر 1898، وأشار الحاكم العام لافرير (حاكم الجزائر 1898-1900) إلى حركة هجرة مهمة للغاية من مناطق المدية، والبرواقية والشلف متجهين إلى سوريا، وقد نهبت طلبات عديدة للحصول على تصاريح المغادرة السلطات، التي سرعان ما رفضت جميع أذونات السفر، وقد غادروا كضحايا هجروا وطنهم، حيث الهروب من نير لا يطاق وهناك سبب آخر يمكن أن يكون الدعاية في بلديات مختلطة من الشلف وتنس من قبل وكلاء الأعمال الأوروبيين، داعين المسلمين لبيع أرضهم والانضمام إلى سوريا[75]، وهدفهم وضع اليد على الأراضي التي يتركها المهاجرون، ومن جهتها الادارة الفرنسية أرجعت السبب الرئيسي للهجرة هو حملة تديرها الصحافة. فالإدارة الفرنسية الاستعمارية كانت كلما اشتدت عليها مطالب الأهالي،أو قاموا بحركة تعبر عن التذمر ، تحاول التلويح ببعض الاصلاحات، ففي هذه المرحلة كان الحاكم العام الفرنسي بالجزائر قد شكل لجنة للدراسات الاقتصادية والاجتماعية لحالة

الأهالي المسلمين مسؤولة عن دراسة أوضاع "السكان الأصليين" واقتراح "إصلاحات" لصالحهم[76].

د- الاستعمار وتغيير هُوية الفضاءات

أولت فرنسا تغيير هُوية الفضاءات، فعندما نذكر النرجسية الاستعمارية الكلاسيكية فغالبًا ما يتم بناء المدن الجديدة على حساب تدمير الآثار أو تفتيت أحياء قديمة ، ونضرب بعض أمثلة من جهات الوطن، **ففي العاصمة** تحول مسجد كتشاوة إلى كاتدرائية، في **وفي الشرق** وفي ميلة بالذات تحول مسجد سيدي غانم (القرن الحادي عشر) إلى إسطبل وهو أحد أقدم مساجد الجزائر، وفي **تلمسان** اختفى ثلثا المدينة، ناهيك عن الأضرار التي لحقت بها آثار مثل مسجد وقبة سيدي إبراهيم، بصرف النظر عن مئذنته، وكاد مسجد سيدي الحسن أن يدمر، وتحول مسجد سيدي الحلوي إلى متحف[77]، ويذكر أجرون أنه ورغم أن الدّين اعتبر حرا، فإن التعليم الديني تقريبا لم يكن مقبولا زمن الاستعمار، كذلك نحت السياسة الفرنسية في الجزائر إلى تغيير هوية الفضاء المكاني، وقد أدت الى تغيير الكثير من أسماء المدن الكبرى، وكذلك تم انشاء السجل المدني، حيث تم إلزام الجزائريين بألقاب جديدة، لزمتهم ولزمت ذرياتهم من بعدهم[78]، زيادة على سياسة طمس وتشويه الذاكرة، والذوق الاجتماعي واللغوي للجزائر، من خلال تغييب التاريخ الوطني والإسلامي، وإفساد لغة التخاطب، وتوحيش الأسماء ولألقاب إذ مازالت الآثار السلبية لهذا القانون لحد الآن، فكثير من الأسر مازالت تعاني إذ تحمل ألقابا بدلالات كلمات نابية أو مشينة ،.وذلك أنه بعد صدور قانون إلزام الجزائريين بالتسجيل في دفتر الحالة المدنية في 23 مارس 1882 عمد الفرنسيون إلى رفض الألقاب المتوارثة والذي يبدأ ب إبن أو أبو -بو- أو ولد أو الانتساب الى القرية أو المدينة او الناحية او الطريقة او الحرفة مثل السوفي، الوهراني، القادري ،النجار ،والزموهم بأسماء بقيت لازمتهم وأحفادهم تحمل

صفات معيبة، وعادة ما تكون اسماء لحيوانات، أو لقاذورات، أو لعاهات، أو ألقاب النبز التي نحمل صفات الذم والدناءة، ومن أمثلة ذلك ،الحنش، رأس الكلب، بعرة، بقة، فرعون، لطرش، العقون، بوخنونة، مجنون قرقوش، هايشة، حيوان ،بل وهناك ألقاب تحمل كلمات بذيئة [79].كما مارس الفرنسيون سياسة ممنهجة لطمس هُوية البلاد، ومن مظاهرها الصارخة حذف أسماء المدن والشوارع والمدن الجزائرية وإحلال محلها اسماء لاتينية، فالشلف أصبحت أورليانفيل Orléansville / والاربعاء ناث إراثن أصبحت فور ناسيونال Fort- National / الأخضرية أصبحت باليسترو Palestro / و سكيكدة أصبحت، فليب فيلPhilippeville [80]، وغيرها من عشرات المدن التى استبدلت أسماءها، في نفس الوقت مع عملية إفراغ مناطق من أهلها، مما ساهم في نفي المواطنين وهجرتهم[81].

4- الجزائريون وروح المقاومة

في سباق مع الزمن هيأ الفرنسيون في الجزائر كل الوسائل من أجل إحلال هُوية جديدة لشمال إفريقيا، والقضاء على الهُوية العربية الإسلامية في المنطقة وفرض الهُوية والثقافة اللاتينية المسيحية، رغم ذلك كشفت وقائع تاريخية قديمة وحديثة، أن روح القتال لم تفارق الجزائريين، وإن رسوخ هذه الروح القتالية التي ميزت الجزائريين تكاد تكون سجية فيهم[82]، ولم تزد سنوات الاستعمار الجزائريين إلا تمسكا بهويتهم، فالذين قبلوا التجنس بالجنسية الفرنسية من الجزائريين، تراوحت أعدادهم بين25 ألف و30 الف، من مجموع الشعب الجزائري، في حدود نهاية الحرب العالمية الثانية، وقد عاش أغلبية هؤلاء وضعية الرديف للفرنسيين، وعلى هامش الجزائر العميقة، التي نبذتهم وردت عليهم بالاحتقار [83]، ومن جهة أخرى وعلى مر التاريخ رأينا شعوبا كثيرة، كانت ضحية لتمدد شعوب أخرى، أقوى منها لكنها لم تفقدها خصوصيتها، إذ تراخى القيد وبدأ يتسع، وأصبح الاستعمار يلفظ أنفاسه الأخيرة مع تصاعد

نشاط الحركة الوطنية فعندما يقاتل شعب بأكمله من أجل حياته، لا يوجد تحكيم مناسب لأنه لم يعد لعبة يمكنك تحديد قواعدها[84]، و حول انتشار الفكر الثوري بين الجماهير المسلمة في الجزائر يشير المؤرخ الفرنسي جون رينيه جونتي J-René Genty أن عقول الجماهير بالكاد مستعدة للإصلاحات والوعود الفرنسية، ورسختها وحشية المواجهات وضراوة القمع خلال ماي 1945 [85]. ونحن نعلم أن مقاومة الشعب الجزائري أسفرت عن انتفاضات متعددة سحقت، لكن روح المقاومة لم تخبو ، حتى كانت ثورة عام 1954 تلك الجولة الحاسمة التي لم تكن كسابقاتها لكنها هذه المرة كانت بالنسبة للفرنسيين الجولة الفاشلة في مواجهة حرب التحرير التي انتهت بالاستقلال عام 1962...رغم كل المحاولات اليائسة للمتمردين الأوربيون بمن فيهم المثقفون والخبراء الاستعماريون من أنصار فكرة الجزائر فرنسية[86].

3-خــاتمة

ومن نافلة القول أن نقف هنا لنلخص ما جاء في هذه الورقة البحثية في النقاط التالية :

1- ولتثبيت مشروع التوسع الفرنسي في الجزائر وشمال إفريقيا، دأبت فرنسا على تمهيد الطريق لذلك عبر طمس الحقائق؛ بالقول أنها اكتسبت الجزائر اكتسابا شرعيا بالتقادم حتى لا تتجمل المسؤولية القانونية الناجم عن الاعتداء على دولة ذات سيادة ؛ لكن في المقابل ليس ثمة أي نص يمكن أن يؤسس عليه حقوقيا الحاق الجزائر بفرنسا، ذلك أن سيادة شعب الجزائر ، لا يمكن اعتبارها من الوجهة الحقوقية لاغية، بفعل غزو عام1830، وهذا الذي تؤيده الحجج القانونية والتاريخية.
2- وأن ادعاءات الفرنسيين، حول عدم وجود دولة جزائرية قبل 1830 ، تدحضها الوقائع التاريخية؛ ففرنسا فقط وقعت مع الجزائر 58 اتفاقا

ومعاهدة فيما بين سنة 1619- وسنة 1830، و ان إن أحسن مثال يفسر العلاقة بن الجزائر مع الدولة العثمانية، هي حالة ارتباط كندا واستراليا في الوقت الحاضر بالتاج البريطاني مع استقلالية قرارهما.

3- اتجه الفرنسيون للبحث عن مبررات في البداية لعملية الغزو، ثم بعد الغزو بحثوا عن مسوغات البقاء، فقاموا بتسويق مفاهيم مدروسة، وظفتها أنثربولوجيا الإيديولوجيا الاستعمارية، وعبر التلاعب بالمصطلحات والمفاهيم، والتحايلات اللفظية التي تحمل مسحة علمية، إذ حاولوا ترسيخ فكرة سلبية الانسان المغاربي وعجز المغاربة عن تكوين كيان سياسي وكان الهدف ترسيخ فكرة حتمية الوجود الفرنسي في الجزائر كضامن للنظام، أي شرعنة الاحتلال الفرنسي.

4- عقدة التفوق وجدت عند الأوربيين، ومفادها أن العرق الأوربي يتمتع بتفوق وراثي على الأجناس؛ فحكم على الشعب الجزائري المسلم بالقنانة الدائمة. واعتبر الجزائريون كرعايا غير مواطنين، أخضعوا لقوانين خاصة،

5- شكلت المسألة العرقية محورا هاما ومدخلا أساسيا، لزرع بذور الفتنة والشك والشقاق بين أبناء الوطن الواحد . لأن وجود كتلة ملتحمة من المغاربة لغتها واحدة وأنظمتها واحدة هي أكبر عائق في وجه الاستعمار،

6- على أرض الواقع فإن الإيديولوجيا الاستعمارية ترجمت في الجزائر كممارسات تنتهج الابادة والإقصاء أسفرت عن نتائج وخيمة في حق الأرض والانسان، فمن بداية الاحتلال إلى سنة 1861 تم إبادة مليون جزائري، كما

تم مصادرة 2.9 مليون من جاود الأراضي. كما مست الجوانب الثقافية فصودرت الأوقاف، وبيوت العبادة وعشية الاستقلال سنة 1962،

فإن الأمية كانت هي السائدة في الجزائر، كم عمل الاستعمار على تغيير هُوية كل الفضاءات ، وقد أدت الى تغيير الكثير من أسماء المدن الكبرى، وكذلك تم انشاء السجل المدني أسفر عن إفساد لغة التخاطب، وتوحيش الأسماء والألقاب،مازالت تعاني منها الأسر الجزائرية لحد الأن.

1- وبالمجمل فإن مرحلة الاستعمار الفرنسي في الجزائر حملت معها تجارب قاسية على الشعب الجزائري نظرا لهول ما عاناه، رغم ذلك ورغم كل هذا فإن روح القتال وسجية المقاومة لم تفارق الجزائريين ،وتلاشت تلك الأوهام الاستعمارية، والتي كان جزءا منها بث الفرقة بن أبناء الوطن الواحد، واصطدمت حسابات المستعمر بالواقع حين وحدت ثورة 1954 كل الجزائريين، لهدف واحد هو أن يعيش الجزائريون أحرارا في بلادهم،

-قائمة المصادر والمراجع،

1. - أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج3 ،ط4 ، دار الغرب الاسلامي بيروت ، 1992.
2. - أبو القسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3 ،1830-1954،ط1، دار الغرب الاسلامي بيروت.1998،
3. –أحمد بن النعمان: **العلاقة العضوية بين الثقافة والهُوية**، مداخلة، أعمال الملتقى الوطني الأول حول دور العلوم الإسلامية في إرساء الهُوية ومواجهة التحديات المعاصرة، الناشر- جامعة الأغواط ، ماي 2010.
4. أحمد منور: **أزمة الهُوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية**، دراسة أدبية، دار الساحل ،الرغاية .الجزائر، 2013 .
5. -الزواوي بغورة: **الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد و التأسيس**، دار القصبة للنشر، الجزائر 2002
6. -أندري برنيان: أندري نوشي : إيف لاكوست، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، ترجمة إسطنبولي رابح ومنصف عاشور: ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984 .

7. أنتوني جيدنز: **مقدمة نقدية في علم الاجتماع** ، ت، أحمد زايد وأخرون ، ط2، مطبعة العمرانية الجيزة مصر، 2006
8. -أوليفي لوكور قرانميزون: **الاستعمار الإبادة تأملات في الحرب والدولة الاستعمارية**،ترجمة نورة بوزيدة ، دار الرائد للكتاب،الجزائر ،2008 .
9. إليكس ميكشيللي: **الهُوية**، ترجمة علي وطفة،ط1، دارالوسيم لخدمات الطباعة، دمشق، 1992.
10. اسماعيل محمد الزيود : **علم الاجتماع** ، كنوز المعرفة ، عمان الأردن ،2011 ،
11. -بشير بلاح : **تاريخ الجزائر المعاصر** 1830-1989،ج1 ، دار المعرفة، الجزائر ،2006 .
12. بشير بلاح: **مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية 1925**-1940 ، عالم المعرفة الجزائر. 2013.
13. -بن عبد الله محمد: **سيكولوجية الشخصية المغاربية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 2010 .
14. -بنور فريد: **المخططات الفرنسية تجاه الجزائر1782-1830م**،مؤسسة كوسكار للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2008.
15. -بوعزة بوضرساية،وآخرون: **الجرائم الفرنسية، والإبادة الجماعية خلال القرن 19**،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1954، الجزائر، 2007 .
16. تركي رابح: **التعليم القومي والشخصية الوطنية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1975.
17. -جمال قنان: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر**، المؤسسة الوطنية للطباعة الجزائر ،1987.
18. -جون ب. وولف: **الجزائر وأوروبا (1500-1830)**، ترجمة وتعليق، أبو القاسم سعد الله،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1986.
19. -جي. إم. بلاوت: **نموذج المستعمر للعالم ، الانتشار الجغرافي وتاريخ المركزية الأوربية** ، ترجمة هبة الشايب مراجعة فيصل يونس ، ط1 ،المركز القومي للترجمة، القاهرة ، 2010 .
20. -جيرار لكليرك:**الأنثربولوجيا والاستعمار**، ترجمة جورج كتورة، ط2 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1990 .
21. -جيلالي صاري ومحفوظ قداش: **الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962**، ترجمة أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية ،2012 الجزائر .

22. حسن حنفي: **الهوية ،مفاهيم ثقافية**، الهيئة العامة لدار الكتاب والوثائق القومية، القاهرة ،2012
23. سعيد إسماعيل علي: **الهُوية والتعليم** : ط1، دار الكتب، القاهرة، 2005،
24. -شارل ر. أجرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ترجمة عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات، بيروت،1982.
25. -طه جابر العلواني و أخرون: **بناء المفاهيم**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2008.
26. -عدي الهواري : **الاستعمار الفرنسي في الجزائر وسياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830- 1962**، ترجمة جوزيف عبد الله: ط1 ، دار الحداثة، بيروت ،1983 .
27. -عزيز العظمة و آخرون: **الهُوية ، مفاهيم عالمية** ، سلسلة تشرف عليها نادية التازي ، ترجمة عبد القادر قنيني، ط1 ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، 2005 .
28. -علال الفاسي: **الحركات الاستقلالية** ، مؤسسة علال الفاسي ،ط6، الدار البيضاء، المغرب، 2003.
29. -عيسى الشماس :**مدخل إلى علم الإنسان (الانثروبولوجيا)** ،منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق2004
30. -فرحات عباس : **ليل الاستعمار** ، دار القصبة للنشر ، ترجمة ابو بكر بن رحال ، الجزائر 2005 .
31. -قاسم عبده قاسم : **تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية**، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الهرم ،مصر ، 2000 .
32. محفوظ قداش: **جزائر الجزائريين ،تاريخ الجزائر 1830**-1954 ، ترجمة محمد المعراجي ، المؤسسة الوطنية للإتصال النشر و الاشهار، الرويبة الجزائر ، 2008 .
33. -محمد البجاوي : **الثورة الجزائرية والقانون** ، مقدمة بيير كوت ، ترجمة علي الخش، مراجعة ،علي الفاضل ، دار اليقضة العربية ، دمشق . سوريا ، 1965 .
34. -محمد الشريف ساحلي: **تخليص التاريخ من الاستعمار** ، ترجمة محمد هناد، ومحمد الشريف بن دالي الحسين، منشورات الذكرى الأربعون للاستقلال ، الجزائر ، 2002.
35. -محمد العربي ولد خليفة: **الاحتلال الاستيطان. مقاربة للتاريخ الاجتماعي والثقافي** ،منشورات دار ثالة الجزائر ، 2013.
36. ولد خليفة محمد العربي :**المسالة الثقافية وقضايا اللسان والهوية :** منشورات ثالة :الجزائر :2007.-

37. محمد الكوخي، **سؤال الهُوية في شمال إفريقيا** ،افريقيا الشرق، الدار البيضاء ، المغرب، 2014

38. -محمد حربي: **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، ترجمة نجيب عياد و صالح المثلوني ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية الجزائر ، 1994 .

39. –محمد عبد الباقي الهرماسي: **المجتمع والدولة في المغرب العربي** ،ط3، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1999 .

40. -محمد قنانش: و محفوظ قداش : **نجم شمال إفريقيا 1926-1937 وثائق و شهادات لدراسة التيار الوطني** الجزائري ترجمة أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2013.

41. محسن محمد محسن: **طبيعة المعرفة التاريخية وفلسفة التاريخ** ، ط1 ،2012، مؤسسة موكرياني ، أربيل العراق 2012.

42. -محمود محمد باشا: **ذربعة المروحة 1827 أو الاستيلاء على إيالة الجزائر** ، ترجمة عزيز نعمان ، دار الأمل للطباعة والنشر ، تيزي وزو . الجزائر، 2010.

43. منير العكش: حق التضحية بالآخر، **امريكا والإبادات الجماعية**، ط1 ، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت -2002 .

44. -مولود قاسم نايت بلقاسم: **أصالية أم انفصالية** ، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1991،

45. -نور الدين ثنيو : **إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية**، ط1، المركز العربي لدراسة للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2015.

46. ناصر سيد أحمد،و آخرون: **المعجم الوسيط**،ط1،دار إحياء التراث العربي للطِّباعة والنَّشر والتوزيع ،بيروت، 2008

47. -وول وايرل ديورانت: **قصة الحضارة**، ترجمة زكي نجيب محمود ، المجلد الأول ، دار الجيل، بيروت لبنان ،1988 .

48. -يحي بوعزيز : **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، دار البصائر ،الجزائر ،2009.

49. -يوسف حميطوش: **منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس** ، شركة دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية, الرغاية ، الجزائر ،2013

50. -يوسف مناصرية : **دراسات وأبحاث في تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية 1830، – 1962** ، دار هومة الجزائر 2013 .

51. charles-Robert Ageron: **genese de l'algerie algerienner**, editions bouchene, paris, 2005 , france , 2005.
52. -Claude Culott Et Jean , Robert Henry: **mouvement national algerien textes 1912-1954**, preface de Ahmed Mahiou, editions l'harmattan , paris ,2000.
53. -Didier Guignard : **l'abus de pouvoir en algerie coloniale 1880-1914 visibilite et singularite** presses universitaires de paris ,nanterre, france، 2010.
54. -Francis Jeanson: **notre guerre**, ministere de la culture, algerie، 2008.
55. -Gilbert Meynier: **l'algerie et la france**, deux siecles d'histoire croisee , edition l'harmatten , France ,2017.
56. Gilbert Meynier : «l'algérie et les algériens sous le système colonial». approche historico historiographique: ***insaniyat*** n°s 65-66, juillet - décembre 2014.
57. -Isnard Hildebert: «aux origines du nationalisme algerien» [article] **،revue annales** , economies, societes, civilisations, 4e annee, n. 4, 1949. p 464.465
58. -Jacques Carret: **l'association des oulemas d'algerie** ,alem elfikr , Alger , 2008.
59. -Michel Malherbe : **quand l'histoire change les noms de lieux les lieux a dénominations multiples** , l'harmattan , Paris, France, 2008 .
60. Francis Jeanson:**notre guerre**,ministere de la culture،algerie،2008.
61. Jean Monneret : **La guerre d'Algérie en trente-cinq questions**, Editions L'Harmattan, Paris ,2008,p21
62. Jean-René Genty**: l'immigration algérienne dans le nord pas de calais 1909-1962**, editions l'harmattan ,Paris, 1999.
63. Francis Jeanson :**notre guerre ،ministere de la culture، Algerie**،2008 .

-الهوامش

[1]- ناصر سيد أحمد،و آخرون ، **المعجم الوسيط** ، ط1، دار إحياء التراث العربي للطِّباعة والنَّشر والتوزيع ،بيروت، 2008 ص 608.

[2]- إليكس ميكشيللي: **الهُوية**، ترجمة علي وطفة،ط1، دارالوسيم لخدمات الطباعة، دمشق، 1992 ص ص 15

[3]-، أحمد بن النعمان: **العلاقة العضوية بين الثقافة والهُوية**، أعمال الملتقى الوطني الأول حول،دور العلوم الإسلامية في إرساء الهُوية ومواجهة التحديات المعاصرة، الناشر- جامعة الأغواط، ماي 2010، ص.ص24 ، 25 .

[4] -سعيد إسماعيل علي: **الهُوية والتعليم** ، ط1، دار الكتب، القاهرة، 2005، ص31.

[5]- حسن حنفي: **الهوية ،مفاهيم ثقافية** ،الهيئة العامة لدار الكتاب والوثائق القومية القاهرة ،2012 ، ص65.

[6] -جون ب. وولف: **الجزائر وأوروبا (1500-1830)** ، ترجمة وتعليق، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1986، ص 23-24.

[7] - يحي بوعزيز : **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، دار البصائر ،الجزائر ،2009 ، ص، 55.

[8] - جمال قنان: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر** ، المؤسسة الوطنية للطباعة الجزائر ، 1987، ص43.

* - الحوار مع بنجامين ستورا بثته قناة LCP (شبكة قنوات تليفزيونية 07/10/2021).

[9] - نفسه: ص43.

[10] - مولود قاسم نايت بلقاسم: **أصالية أم انفصالية**، ج2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص213

11 - محمد الكوخي : **سؤال الهُوية في شمال إفريقيا**، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014 ، ص18 .

[12] - فرحات عباس : **ليل الاستعمار** ، دار القصبة للنشر ، ترجمة ابو بكر بن رحال، الجزائر 2005 ، ص 34.

[13] - محمود محمد باشا: **ذريعة المروحة 1827 أو الاستيلاء على إيالة الجزائر**، ت عزيز نعمان، دار الأمل للطباعة والنشر ، تيزي وزو . الجزائر، 2010 ، ص40 .

[14] - انظر، نور فريد: **المخططات الفرنسية تجاه الجزائر1782-1830م**، مؤسسة كوسكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

[15] -محمد الشريف ساحلي: **تخليص التاريخ من الاستعمار**، تعريب، محمد الشريف بن دالي الحسين، دار القصبة للنشر،2013 ، ص104.

[16] - محمد حربي: **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، ترجمة نجيب عياد و صالح المثلوني ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية الجزائر ، 1994 ، ص ص 96 ، 97.

[17] - محمد قنانش : ومحفوظ قداش، **نجم شمال إفريقيا 1926-1937 وثائق و شهادات لدراسة التيار الوطني الجزائري** ، ترجمة أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2013، ص 225.

[18] - أندري برنيان ، أندري نوشي، إيف لاكوست: **الجزائريين الماضي والحاضر**، ترجمة إسطنبولي رابح ومنصف عاشور ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1984 ، ص 231 ص 242 .

[19] - محمد البجاوي: **الثورة الجزائرية والقانون**، مقدمة، بيير كوت ، ترجمة علي الخش، مراجعة ،علي الفاضل ، دار اليقضة العربية ، دمشق . سوريا ، 1965 . ص ص 33 ، 50

[20] -محمد عبد الباقي الهرماسي، **المجتمع والدولة في المغرب العربي**، ط3 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1999 ، ص ص 14. 15.

[21] - محمد الشريف ساحلي: **تخليص التاريخ من الاستعمار**، ترجمة محمد هناد ، ومحمد الشريف بن دالي الحسين، منشورات الذكرى الأربعون للاستقلال ، الجزائر ، 2002، 67 -83.

[22] - نفسه ،ص 67- 83 .

[23]- طه جابر العلواني و أخرون : **بناء المفاهيم** ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر،2008. ص9.

[24]-- الزواوي بغورة: **الخطاب** ، المرجع السابق ،ص9 .

[25] - جيرار لكليرك : المرجع السابق، ص80.

[26]- اسماعيل محمد الزيود: **علم الاجتماع** ، كنوز المعرفة ، عمان الأردن ،2011 ، ص233

[27] - جيرار لكليرك: المرجع السابق ، ص89

[28]- -أنتوني جيدنز: المرجع السابق ص 40.

[2929]- قاسم عبده قاسم: **تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية**،ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الهرم ،مصر ، 2000 ، ص ص ،37. 38 .

[30]- أحمد منور: **أزمة الهُوية في الرواية الجزائرية بالفرنسية**، دراسة أدبية،دارالساحل .الجزائر، 2013 ، ص30.

[31]-عيسى الشماس: **مدخل إلى علم الإنسان**(الانثروبولوجيا)،منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق2004 ص16.

[32] - جيرار لكليرك: **الأنثربولوجيا والاستعمار**، ترجمة جورج كتورة ، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1990، ص161، ص 165.

[33] - بشير بلاح: **مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية** مرجع سابق، ص ص201 .202 . 203 .

[34] - الزواوي بغورة: **الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد و التأسيس** ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، ص123.

[35]- محسن محمد محسن : **طبيعة المعرفة التاريخية وفلسفة التاريخ** ، ط1 ،2012، مؤسسة موكرياني ، أربيل العراق 2012 ص27.

[36]- أوراغي أحمد: «الأنثروبولوجيا والاستعمار قراءة في صورة الجزائري في المؤلفات الأنثروبولوجية الاستعمارية» ، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية**، مج 4، العدد 2، جامعة سيدي بلعباس، ديسمبر2013.

[37] - يوسف مناصرية : **دراسات وأبحاث في تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية 1830 – 1962** ، دار هومة الجزائر 2013، ص18.

[38]- -أنتوني جيدنز: **مقدمة نقدية في علم الاجتماع** ، ترجمة، أحمد زايد وأخرون ، ط2، مطبعة العمرانية الجيزة مصر، 2006 ص 41.

* **المركزية الأوربية**، المصطلح الذي يشير إلى كل المعتقدات لدى الأوربيين التي تسلم بفكرة تفوق الأوربيين على غير الأوربيين دينا وعرق وبيئة وثقافة . ومن ذلك أن الأوربيين هم من اخترعو الديمقراطية والعلم والإقطاع والرأسمالية والدولة الحديثة..الخ ويعتقدون أنها حقائق

[39] - جي. إم . بلاوت: **نموذج المستعمر للعالم ، الانتشار الجغرافي وتاريخ المركزية الأوربية** ، ترجمة هبة الشايب مراجعة فيصل يونس ، ط1 ،المركز القومي للترجمة، القاهرة ، 2010 ، ص ص26 . 27. 28.

[40] - نفسه : ص ص 13 . 14

[41] - ول وايرل ديورانت: **قصة الحضارة** ، ترجمة زكي نجيب محمود ، المجلد1 ، دار الجيل، بيروت ،1988 ، ص،6

[42] - أوراغي أحمد: مرجع سابق.

[43] - يوسف مناصرية : مرجع سابق ، ص18.، ص18.

[44]- Jean Monneret : **La guerre d'Algérie en trente-cinq questions**, editions l'harmattan, Paris ,2008,p21

[45] -علال الفاسي: **الحركات الاستقلالية**، مؤسسة علال الفاسي، ط6، الدار البيضاء، المغرب، 2003 ، ص162. 164.

[46] - بشير بلاح: **مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية 1925-1940** ، عالم المعرفة الجزائر، ص ص203،201.

[47] - عزيز العظمة وآخرون:**الهوية، مفاهيم عالمية** ، سلسلة تشرف عليها نادية التازي، ترجمة عبد القادر قنيني، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2005، اقتباسات ص ص ،143 ،145 .

[48]- Claude Culott Et Jean , Robert Henry: **mouvement national algerien textes 1912-1954**, preface de Ahmed Mahiou, editions l'harmattan , paris ,2000. p26.

[49] - نورالدين ثنيو :**اشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية**،ط1،المركز العربي لدراسة للأبحاث ودراسة السياسات،الدوحة،2015 ، ص394.

[50] - أوليفي لوكور قرانميزون: **الاستعمار الإبادة تأملات في الحرب والدولة الاستعمارية** ،ترجمة نورة بوزيدة ، دار الرائد للكتاب،الجزائر ، 2008 ، ص 20

[51]- نفسه: 20 ص،20

[52] - منير العكش ، **حق التضحية بالآخر، امريكا والإبادات الجماعية** :ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت – -2002 ، ص ص 22.

[53] - محمد العربي ولد خليفة: **الاحتلال الاستيطان. مقاربة للتاريخ الاجتماعي والثقافي** ،منشورات دار ثالة الجزائر ، 2013، ص 63 .

[54] - Gilbert Meynier : «l'algérie et les algériens sous le système colonial». approche historico historiographique: ***insaniyat*** n°s 65-66, juillet - décembre 2014.

55-Didier Guignard : **l'abus de pouvoir en algerie coloniale 1880-1914 visibilite et singularite** , presses universitaires de paris ,nanterre, france, 2010, p51 .

[56] - يوسف حميطوش: **منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس** ، شركة دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،، الجزائر ،2013 ، ص ص ، 37،38 .

[57] - أبو القسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج3 ،1830-1954،ط1 ، دارالغرب الاسلامي. بيروت ،1998، ص24 ص ص 38-.40

[58] - بوعزة بوضرساية وآخرون: **الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية خلال القرن** 19، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1954 ، الجزائر ، 2007 ، ص ص.152-153

59 - Gilbert Meynier: **l'algerie et la france**, deux siecles d'histoire croisee , edition l'harmatten , France ,2017. p10 .

[60] -gilbert meynier **:، l'algérie et les algériens sous le système colonial …**op.cit.

[61] -جيلالي صاري ومحفوظ قداش:**الجزائر صمود ومقاومات** 1830-1962، ت أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2012 .ص 167.

62 - عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية** 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1997 . ص 217 .

63 - **جون بول سارتر: عارنا في الجزائر ،الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، دون سنة نشر، ص 18.**

64 - ثنيو: م.سابق، ص11.

[65] - عدي الهواري: **الاستعمار الفرنسي في الجزائر وسياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830-** 1962، ترجمة جوزيف عبد الله ، ط1، دار الحداثة ، بيروت ،1983 ،ص95 .

[66] - حميطوش : مرجع سابق ، ص ص، 19.18.17 .

[67] -بن عبد الله محمد: **سيكولوجية الشخصية المغاربية**، د. المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 2010 .ص69 ص202.

[68]- محفوظ قداش ، **جزائر الجزائريين ،تاريخ الجزائر 1830-1954**، ترجمة محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للإتصال النشر و الاشهار، الرويبة الجزائر ، 2008 ، ص233.

[69]- -بشير بلاح : **تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989** ، ج1 ، دار المعرفة ، الجزائر ،2006 ، ص 236 .

[70] - قرانميزون: مرجع سابق ، ص 319-320 .

71- claude culott et jean . robert henry ، **op.cit.**،p26.-

[72] - تركي رابح: **التعليم القومي والشخصية الوطنية**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1975، ص98 .

[73] - Isnard Hildebert: «aux origines du nationalisme algerien» ،revue **annales** , economies, societes, civilisationsi, 4e annee, n. 4, 1949. p 464.465

[74] - ibid.

[75] -charles-robert ageron: **genese de l'algerie algerienner**, editions bouchene, paris, 2005 , p 76..

[76]-Jacques Carret: **l'association des oulemas d'algerie** ,alem elfikr , Alger , 2008, p33.

[77] - gilbert meynier**: l'algérie et les algériens** op.cit.

[78]- شارل روبير أجرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ترجمة عيسى عصفور ، ط1 ، منشورات عويدات ، بيروت ،1982، ص106 .

[79] - بشير بلاح : **تاريخ الجزائر المعاصر** ...ج1 ، مرجع سابق ، ص282

[80]- Michel Malherbe : **quand l'histoire change les noms de lieux les lieux a dénominations multiples** , l'harmattan , Paris, France, 2008 , p 10-17

[81]- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج3 ،ط4 ، دار الغرب الاسلامي بيروت ، 1992.، ص66 .

[82] - عبد السلام فيلالي :**الجزائر الدولة والمجتمع** ، دار الوسام العربي ،ط 1 ، عنابة.الجزائر 2013 ، ص269 . [

[83] - ولد خليفة محمد العربي :المسالة الثقافية وقضايا اللسان والهوية :منشورات ثالة :الجزائر :2007، ص181.

[84] - Francis Jeanson:**notre guerre**,ministere de la culture،algerie،2008.p 30

85 - Jean-René Genty**: l'immigration Algérienne dans le nord pas de calais 1909-1962**, editions l'harmattan ,paris, 1999, P13.

[86] - gilbert meynier، **l'algerie et la france …** op.cit